سكان غربي آسيا

خلاصة البحث

اذا اردنا تلخيص ما تقدم لنا من البحث في هذا الموضوع واستنتاج النتائج منهُ لا نرى بدًّا من ترك بعض الشعوب القاطنة غربي اسيا وشأنهم كالسود والنجر والجركس والالبان والبلغار والبوسنيين والافرنج الذين قطنوا الشرق منذ طويل (الفرنك والليفنتين) . فان البحث في اصلهم وفصلهم خارج عن موضوعنا هذا

اما الشعوب الباقية فاهمها لدى كاتب هذه المقالات الاكراد . وغاية ما يقال عنهم ان كثرة الشقر فيهم تدلُّ على ان موطنهم الاصلي بعض البلاد الشمالية . ويرجح بناء على لغتهم الآرية انهم ينتسبون الى قبائل الميتاني التي كانت لها آلهة آرية في القرن الثالث عشر قبل المسيح . واني اعلم تمام العلم ان ليس عندنا دليل واضح على صحة هذا القول ولكنني ارى ان الاكراد والاموريين المذكورين في التوراة وقبائل الميتاني المشار اليهم آنفًا والذين ذكروا في احافير بوغاز كوي وقبائل تاميهو الذين ذكروا في الكتابات المصرية القديمة هم منتسبون بعضهم الى بعض ان لم يكونوا شعبًا واحدًا . والظاهر ان بعض قبائل الشمال جعلت تهاجر الى بلاد الاناضول وسورية وايران ومصر والهند في القرن الخامس عشر قبل المسيح او نحو ذلك . واذا صحَّ ان الكتابات القديمة تقول ان الاموريين والتاميهو كانوا شقر الالوان امكننا بذلك ان نعلل كثرة ما يرى من الشقر الآن في الاناضول وسورية وبين اليهود معاصرينا

اما الشعوب الاخرى المنتشرة في غرب اسيا كالطهطجية والاَلاَوية والانصارية والقزل باش واليزيدية والبكطاش ممن يتكلمون التركية والعربية والكردية مع تجانسهم تجانسًا تامًّا في الصفات الطبيعية — بضاف اليهم الدروز والمرازنة — فقد تقدم القول انهم ذوو رؤوس عالية ومستديرة ومسطحة كل السطح من القفا وذوو انوف شهاء . ومثلهم كثيرون بين الايرانيين والترك والارواء والارمن . ويظهر من القرائن ان استدارة الرؤوس فيهم قديمة اصلية وطولها حديث مجلوب بالمهاجرة . وهذا الرأي مؤيد بالاعتبارات التاريخية وبالاحافير الحديثة . منها انهُ في اواخر القرن الثالث عشر قبل المسيح عقد

رعمسيس الثاني صلحاً مع ملك الحثيين وكانت مملكتهُ بعيدة الاكناف ممتدة من غرب الاناضول الى ما بين النهرين ومن قادس على نهر العاصي الى البحر الاسود . ولسنا نعلم الآن هل كان سكان تلك المملكة الواسعة شعباً واحداً متجانساً ولكن عاداتهم تظهرهم لنا بمظهر واحد لا شذوذ فيهِ فرؤوسهم عالية مستديرة وانوفهم شبيهة بانوف ذوي الرؤوس المستديرة من سكان غرب اسيا . ولا ريب عندي ان هؤلاء سلالة الحثيين وقد حافظوا على صفاتها الطبيعية مدة ثلاثة آلاف سنة . وهذه الصفات تشبه صفات اليهود وتطابق معنى الجمال العبراني القديم كما جاء في نشيد الانشاد « عيناك كالبرك في حشبون . أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق » . ولكن هذا الجمال ليس سامياً وقلما نلمحهُ بين الساميين الحقيقيين كالبدو مثلاً

هذا وان الكتابات الحثية لم تقرأ حتى الآن ولكن علماء اللغات الشرقية مجمعون على القول ان اللغة الحثية ليست من اللغات الساميّة في شيء بل ان الحثيين كانت لهم لغة وكتابة وديانة خاصة بهم . وليس للساميّة اثر في العصور القديمة واهلها . وما كان لها من الاثر بدأ يظهر في عصر متأخر وكان ظهورهُ اولاً في بابل ثم في فلسطين فشمال سورية . ولما كان « تسوب » عميد آلهة الحثيين لم يذكر في الكتابات الساميّة التي وجدت في متجرلي صح لنا ان نستنتج ان الغزاة الساميين جلبوا معهم الى شمال سورية كتابتهم ولغتهم وديانتهم نحو سنة ٩٠٠ قبل المسيح او قبل ذلك التاريخ ولكننا نجهل عددهم والتاريخ لا يدلنا على مقدار تأثيرهم في الصفات الطبيعية التي للحثيين القدماء سكان تلك البلاد

على ان معظم الصعوبة التي نجدها في هذا البحث هي معرفة الوطن الاول الذي جاء منهُ الحثيون وجميع شعوب غرب آسيا ممن امتاز بالجمجمة المستديرة والانف الاشم الضيق . ومما يذكر في هذا الباب ان الشعب المعروف باسم « ألبين » نسبة الى جبال الالب في اواسط اوربا بينهُ وبين تلك الشعوب لحمة نسب لا تنكر ولكن لا يسعنا الاول وعلة ان نقول هل جاء الحثيون من اواسط اوربا ام ذهب الالبيون اليها من غرب آسيا . واهل المذهب الثاني اكثر عدداً . وان كان لا يزال للمذهب الاول انصار فهم يستندون الى ما هو معلوم من ان الارمن والفرس المحدثين وهم يمثلون الحثيين تمام التمثيل يتكلمون لغات آرية . فنقول في الرد على هذا ان كثيراً من الامم والشعوب استبدلت لغاتها باخرى من غير ان تفقد صفاتها

الطبيعية فلا بدع اذا قلنا هنا ان اسلاف الاكراد الاقدمين وهم من الجنس الاشقر الاصهب اعاروا لغتهم الآرية للارمن والفرس القدماء من غير ان يؤثروا في صفاتهم الطبيعية . ولا ننس ان اوربا ليست في الحقيقة سوى شبه جزيرة ملحقة باسيا وان الشعوب التي تمثل الحثيين اكثر كثيراً في اسيا منها في اوربا . فالارجح لذلك ان يقال ان مهد الحثيين في اسيا حيث نجد ذوي الرؤوس المستديرة منتشرين شرقاً حتى برما وسيام والارخبيل الملقي

وخلاصة ما تقدم انهُ كان يقطن غرب اسيا في الزمان الاول شعب متجانس اسمر البشرة برؤوس مفلطحة وانوف شماء ضيقة . وفي نحو سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح اخذ يهاجر الى تلك البلاد شعب ساميٌّ من الجنوب الشرقي . والمرجح انهُ هاجر من بلاد العرب وان المهاجرين كانوا يشبهون في ملامحهم البدو المعاصرين لنا . وبعد ذلك بالفي سنة بدأت مهاجرة ثانية ولكنها جاءت من الشمال الغربي وكان الشعب المهاجر هذه المرة اصهب اشقر ذا رؤوس طويلة كالاكراد المحدثين ولكنهم كانوا اشبه بافصح منهم بالمتمدنين وربما كانوا متصلين بالاموريين والفلاخيين في النسب

ويقال بالاجمال ان المحدثين من الترك والارمن واليهود مزيج من هذه العناصر الثلاثة الحثيّ والساميّ والاصهب . اما الارمن والايرانيون والدروز والموارنة وسائر نحل سورية واسيا الصغرى فانهم يمثلون العنصر الحثي القديم ولم يؤثر فيهم سيل الغزاة او كان اثرهُ فيهم ضئيلاً

ومن الاغلاط التي كانت كثيرة الشيوع فيما مضى ان يقال الشعوب الآرية بدلاً من الشعوب التي تتكلم اللغة الآرية اي ان الكتاب كانوا يخلطون بين الجنس واللغة . وذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا جماجم آرية وعيون آرية حتى شدد مكس ملر النكير على علماء اللغة لتطفلهم على موائد علماء علم الانسان وقال « ان قولنا نحوٌ مفلطح الراس ليس باغرب ولا ادعى الى الهزء من قولنا جمجمة آرية »